التوجيه اللغوي لانفرادات الإمام قالون في روايته عن الإمام نافع

أ. خالد خالدي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر

الملخص:

يتناول هذا البحث ما انفرد به الرّاوي الأوّل للإمام نافع المدني الإمام قالون، والّذي أخذ عنه القراءة من غير واسطة، وهو المقدّم على الإمام ورش عند أهل الأداء. فانفرد هذا الإمام الجليل بستة أحرف كما بيّن ذلك الإمام الدّاني في كتابه "التّهذيب لما تفرّد به كلّ واحد من القرّاء السبعة "، فوقفت عند هاته الحروف رواية و دراية.

الكلمات المفتاحيّة: الانفرادات، التوجيه، رواية قالون عن نافع.

***Abstract* :**

This research deals exclusively with the first narrator, Imam Nafi' al-Madani , Imam Qallun , who took the reading from a non –medium .He is the preacher on the Imam Warsh in the people of performance .This dignified Imam was distinguished by six letters ,as indicated by Imam al Dani in his book "By each of

seven readers" and stood in these characters narration and knowledg

Keywords*: *Singularity, Orientation, Quallun's narration on Nafi' al-Madani.

مقدّمة:

بسم الله وكفى، والصلاة و السّلام على المصطفى، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار ومن وفّى، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين،أمّا بعد:

يعتبر القرآن الكريم أعظم الكتب المنزّلة، فهو أحسنها نظاما، وأبينها حلالا، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولمّا كان كذلك حظي بعناية فائقة رسما، وضبطا، وقراءة وإقراءً، وحفظا، وتجويدا، وفهما، وتدبّرا، واستنباطا. فهو مفجّر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كلّ شيئ...ومن أجلّ هاته العلوم المتّصلة اتّصالا وثيقا بالقرآن القراءات القرآنية، الّتي هي قراءة ألفاظه بوجوه مختلفة يحتملها الرّسم العثماني، وقد لا يختلف اثنان أنّ القراءات كانت ولا زالت معينا لا ينضب للباحثين، وزخرا مليئا بالدّرر والجواهر، لما لهذا العلم من علاقة وطيدة بشتّى العلوم و الفنون، كالتفسير والفقه وعلوم العربية. وقراءة نافع المدني إحدى هاته القراءات، والّذي روى عنه القراءة الإمام قالون والإمام ورش، فانفرد كلّ واحد منهما بأحرف لم يشاركه فيها غيره من القرّاء ولا رواتهم. فجاءت الدراسة موسومة "**التوجيه اللغوي لانفرادات الإمام قالون في روايته عن الإمام نافع**".والإشكال الّذي نطرحه والّذي نحاول الإجابة عنه هو: ما هية الانفرادات؟ وما طبيعة ما انفرد به الإمام قالون في روايته عن الإمام نافع ؟ وهل تعرّضت هاته الرّواية للطعن من قبل النّحويّين واللّغويّين؟.

التمهيد:الإمام قالون و الانفرادات

التعريف بقالون

هو أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصّمد بن عمر بن عبد الله المدني الزّرقي مولى بني زهرة [1]، لقّب بقالون وهي كلمة روميّة تعني:جيّد، وكان أوّل من أطلق عليه

هذا اللقب شيخه نافع، فقد روي أنّه كان إذا قرأ عليه يقول له: قالون أي:جيّد، يلاطفه بلغته.[2] قال ابن الجزري:""سألت الرّوم عن ذلك فقالوا: نعم غير أنّهم نطقوا لي بالقاف كافا على عادتهم هكذا (كالون)[3].

ولد الإمام قالون سنة عشرين ومائة [4]، وقرأ القرآن على شيخه الإمام نافع مرّات كثيرة، وقيل إنّه كان ربيبه، وقد سئل هذا الإمام الجليل :كم قرأت على نافع ؟ فقال:مالا أحصيه كثرة إلّا أنّني جالسته بعد الفراغ عشرين سنة.[5]

كما قرأ القرآن على عيسى بن وردان الحذّاء[6]. وقد انقطع قالون لإقراء القرآن وتعليمه،وتعليم العربية، فذاع صيته في امدينة وتولّى منصب شيخه بعده، فقد عاش نحو نيّفا و ثمانين سنة[7] .

تتلمذ عليه كثيرون أشهرهم:ابناه أحمد وإبراهيم، وأبو نشيط محمّد بن هارون [8]، وأحمد بن يزيد الحلواني[9]، وأحمد بن صالح المصري[10]، وإبراهيم بن الحسين الكسائي[11]،وغيرهم[12].

ومن أهم ما اتّصف به الرّاوي الأوّل للإمام نافع أنّه كان أصمَّ شديد الصّمم لا يسمع البوق، أمّا إذا قرأ عليه قارئ فإنّه يسمع. وقيل إنّ الصمم هذا أصابه في آخر عمره بعد أن أُخذت القراءة عنه.[13]

توفي الإمام قالون –رحمه الله –سنة عشرين ومائتين بالمدينة المنوّرة[14].

ما هية الانفرادات

الانفراد: **لغة**: يقال انفرد بالشّيء: إذا استفرده، ويقال: أفرد وانفرد واستفرد بمعنى تفرّد به[15]. والفرد"الّذي لايختلط به غيره، فهو أعمّ من الوتر وأخصّ من الواحد وجمعه فرادى".[16]ومنه قوله تعالى:﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ ﴾ (الأنبياء: 89). أمّا اصطلاحا:هي "ما يعزّى من أوجه القراءات إلى قارئ من الأئمّة أو أحد رواتهم أو أحد طرقهم، ومنها ما هو في عداد الشاذّ، ومنها ما هو عي عداد المتواتر، ويعبّر عنها ب(التفرّد)،و(الانفراد)،و(الأفراد)[17]. جاء في معجم مصطلحات علم القراءات "الانفرادات لها معنيان : الأوّل:ما انفرد بقراءته أحد القراء العشرة على وجه منفرد مخالف لبقيّة القرّاء"[18].

ممّا سبق يتبيّن أنّ الانفراد يمكن أن ينفرد به الإمام المقرئ الّذي تروى عنه القراءة،أو أحد رواته الّذين رووا عنه القراءة، أو أحد طرقهم .فمثلا يمكن أن نقول: انفرد الإمام نافع بقراءة كذا، أوانفرد الإمام قالون –وهو الرّاوي الأوّل عنه –بقراءة كذا، أوانفرد ورش عن طريق الأزرق بقراءة كذا.

ودراسة انفرادات القرّاء السبعة لها أهمّيّة كبيرة أجملها في النّقطتين الآتيتين:

أمّا أحدهما فهذه الانفرادات دليل قاطع وحجّة دامغة على أنّ القرآن وقراءاته ليس فيهما أيّ تناقض أوتنافر، وهي طاردة من الأذهان شُبهة التّضاد الّتي أثارها بعض الملحدين، وخاصّة المستشرقين الّذين حاولوا النّيل من القرآن والتشكيك فيه، إمّا عن قصد أوعدم فهم .فالاختلاف الموجود بين القرّاء والانفرادات من بين هاته الاختلافات إنّما هو تنوّع محمود لا تنوّع تضاد[19].

وأمّا الآخر فتعتبر هذه الانفرادات مجالا خصبا للدّراسات اللّغوية، وذلك بما تحتويه من ظواهر صوتية وصرفيّة ونحويّة ودلالية بما أنّها جزء من القراءات القرآنية[20].

وانفرد الإمام قالون بستّة أحرف قد ذكرها الإمام الدّاني في كتابه التهذيب، وهي كالآتي[21]:

1- ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ ﴾ .قرأها بمدّة بعد همزة الاستفهام.
2- ﴿ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾.قرأ في الهاء المتّصلة بالفعل المجزوم باختلاس كسرتها.
3- ﴿لَا تَعْدُوا ﴾.قرأ بإسكان العين و تشديد الدّال.
4- ﴿ إن أنا إلّا نذير﴾.قرأ بإثبات الألف في الوصل و الوقف.
5- ﴿ لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ﴾.قرأ بتشديد الياء من غير همز.
6- ﴿ عَادًا الْأُولَى ﴾. قرأ بهمزة ساكنة بعد ضمّة اللّام النقول إليها حركة الهمزة.

الحرف الأوّل: -﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ ﴾ .قرأها بمدّة بعد همزة الاستفهام.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[22].

انفرد الإمام نافع في رواية قالون عنه بقراءة قوله تعالى:﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ ﴾ بمدّة بعد همزة الاستفهام، وكذلك في قوله تعالى:﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَانِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ ﴾[23]، ولكن بخلاف في هذا الحرف[24].

جاء في التيسير: "نافع "أُشهدوا"بهمزتين الثانية مضمومة مسهّلة بين الهمزة و الواو، وقالون من رواية أبي نشيط بخلاف عنه يدخل قبلها ألفا والشّين ساكنة، والباقون "أُشهدوا" بهمزة واحدة مفتوحة وفتح الشين "[25]. ويبيّن عبد الفتّاح القاضي ذلك الخلاف في حرف الزّخرف إذ يقول:""في سورة الزّخرف الخلاف في إدخال ألف الفصل بين همزتين لقالون، فله بينهما الإدخال و تركه ..."""[26].

وخلاصة ذلك كلّه أنّ قالون يقرأ بتسهيل الهمزة الثانيّة من الهمزتين الواقعتين في كلمة مع إدخال ألف الفصل بينهما سواء أكانت الثانيّة مفتوحة، أم مكسورة أم مضمومة[27].

وقد احتجّ مكّي لقراءة قالون:"أنّه لمّا كانت الهمزة المخفّفة بزنتها مخفّفة قدّر بقاء الاستثقال على حاله مع التّخفيف، فأدخل بينهما ألفا ليحول بين الهمزتين بحائل يمنع اجتماعهما "[28].

يتبيّن من توجيه مكّي لقراءة قالون أنّ سبب إدخال الألف بعد تسهيل الهمزة هو: لتحول هاته الألف بين الهمزتين بحائل تكون مانعة من اجتماعهما.

الحرف الثاني: ﴿ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾.قرأ في الهاء المتّصلة بالفعل المجزوم باختلاس كسرتها.

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[29] .

انفرد الإمام نافع في رواية قالون عنه بقراءة هاته الهاء المتّصلة بالفعل المجزوم باختلاس كسرتها في هذا الموضع، وكذلك في قوله تعالى:"نؤته منها "[30].وقرأ أبو بكر في روايته عن عاصم وأبو عمر وحمزة بإسكان الهاء في هذه المواضع، وقرأ باقي القراء السبعة بصلة الهاء بياء في الوصل[31].

ووجه قراءة قالون ""أنّه أجري على أصله قبل الجزم، وذلك أنّ أصله كلّه أن يكون بياء قبل الهاء، وهي لام الفعل، وبياء بعدها بدلا من الواو دخلت للتّقويّة، نحو: نؤتيهي و نصليها، فلمّا كانت الهاء خفيا لم تحجز بين الياءين السّاكنتين فحذفت الثانيّة لالتقاء السّاكنين وبقيت الهاء مكسورة، ثمّ حذفت الياء الّتي قبل الهاء للجزم، فبقيت الهاء مكسورة على ما كانت عليه قبل الحذف،وهذه علّة حسنة لا داخلة فيها ""[32]

فمعنى ذلك أنّ الإمام قالون قرأ بعدم الصّلة مراعاة للأصل، لأنّ الأصل في هذا الحرف (يُؤَدِهِ) فحذفت الياء للجازم الّذي قبلها.

أمّا حجّة قراءة أبو بكر وأبو عمرو وحمزة ""أنّ هذه الأفعال قد حذفت الياء الّتي قبل الهاء فيها للجزم، وصارت الهاء في موضع لام الفعل، فحذفت محلّها فأسكنت كما تسكن لام الفعل للجزم، ألا ترى أنّهم قد قالوا: لم يَقْرَ فلان القرآن،فحذفوا حركة الهمزة للجزم فأبدلوا من الهمزة السّاكنة ألفا لانفتاح ما قبلها، ثمّ حذفوا أيضا الألف للجزم، كذلك حذفوا الياء قبل الهاء للجزم وأسكنوا الهاء للجزم ، إذ حلّت محلّ الفعل ""[33].

فبعض القبائل العربية تسكن هاء الضمير إذا تحرّك ما قبلها، فيقولون مثلا :ضربتهْ ضربا مشبهين ذلك بميم الجمع[34].

وحجّة قراءة باقي القرّاء السّبعة ""أنّه أتى بالهاء مع تقويتها على الأصل، وأيضا فإنّه لمّا زالت الياء الّتي قبل الهاء، الّتي من أجلها تحذف الياء الّتي بعد الهاء عند سبويه، أبقى الياء الّتي بعد الهاء، إذ لا علّة في اللّفظ توجب حذفها""[35].

يتّضح ممّا سبق أنّ الإمام قالون قرأ هذا الحرف وما شابهه بقصر الهاء، أيّ: بعدم الصّلة، وقد يعبّر عنها بالاختلاس، وحجّته في ذلك أنّه أجراه على أصله قبل الجزم،لأنّ أصله قبل ذلك هكذا "نؤتيهي"و"نصليهي"، فحذفت الياء الثانيّة لالتقاء السّاكنين فتبقى الهاء الّتي قبلها مكسورة، ثمّ حذفت الياء الثانيّة الّتي قبل الهاء للجزم، فتبقى الهاء أيضا مكسورة على ما كانت عليه قبل الحذف فتصير "نؤته"

الحرف الثالث: ﴿لَا تَعْدُوا﴾. قرأ بإسكان العين و تشديد الدّال.

قال تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [36].

انفرد الإمام نافع في رواية قالون عنه بقراءة قوله تعالى "لَا تَعْدُوا" • بإسكان العين وتشديد الدّال، وكذلك في قوله تعالى:" أَمَّن لَّا يَهِدِّي "في سورة يونس، قرأها بإسكان الهاء و تشديد الدّال، وأيضا في قوله تعالى:" وَهُمْ يَخِصِّمُونَ "سورة يس قرأها بإسكان الخاء و تشديد الصّاد[37].

ويرى مكّي القيسي أنّ الحجّة لمن قرأ بإختلاس حركة العين وتشديد الدّال ""أنّها حركة عارضة عليها،لأنّ أصلها "تَعْتَدوا" فأصلها السكون، ثمّ أدغمت التاء في الدّال بعد أن ألقيت حركتها على العين، فاختلس حركة العين ليخبر أنّها حركة غير لازمة، ولم يمكنه أن يسكن العين لئلّا يلتقي ساكنان:العين و أوّل المدغم، وكره تسكين الحركة، إذ ليست بأصل فيها، وحسُن ذلك للتّشديد الّذي في الكلمة و لطولها "[38].

فقراءة الإمام قالون بإختلاس حركة العين تنبيها على أنّ أصلها السّكون، فقبل إدغام التاء في الدّال كان أصلها (تعْتَدوا) و بعد الإدغام نقلت حركت التاء إلى العين فاختلسها.

وقد وصف ابن خالويه قراءة قالون هاته بالقبح، إذ قال: "جمع ساكنين وهو قبيح جدّا،لأنّ العرب لا تجمع بين ساكنين إلّا إذا كان أحدهما حرف لين، وكأنّه أراد الحركة فأسكن لأن الفرّاء حكى عن عبد القيس أنّها تقول :(أسل زيدا)، فتُدخل ألف الوصل على متحرّك، لأنّهم أرادوا الإسكان "[39].

أمّا النّحاس فاعتبر القراءة خطأ، يقول في ذلك:"وقلنا لهم لا تعدوا في السّبت" من عدا تعدوا وتعدّوا، والأصل فيه تعتدوا فأدغمت التّاء في الدّال، ولا يجوز إسكان العين ولا يوصل إلى الجمع بين السّاكنين في هذا، والّذي يقرأ بهذا إنّما يروم الخطأ"[40].

وعكس ابن خالويه والنّحّاس اعتبر كل من المهدويّ[41] والعكبري[42] أنّ الاختلاس أحسن وأجود في العربية، لأنّه يجمع بين التّخفيف والدّلالة على الإعراب، ولأنّه يؤمن معه

اجـتماع السّاكنين. أمّـا البنّـا الدمياطي فـيرى الاختلاس فـي هـاته القراءة أقيس. يـقول فـي ذلـك :"لقالون اختلاس حركة العين مع تشديد الدّال أيضا، وعبّر عنه بالإخفاء فرارا من ذلك(التقاء الساكنين)...وروى الوجهين عنه الدّاني، وقال: إنّ الإخفاء أقيس والإسكان آثر..."[43].

ممّا سبق يتّضح لنا أنّ قراءة نافع في رواية قالون عنه يؤسّس عليها قاعدة التّخلّص من التقاء السّاكنين، وذلك بالاختلاس، لأنّه يجمع بين الدّلالة على الإعراب، ويؤمن معها اجتماع السّاكنين.

الحرف الرّابع: ﴿ إن أنا إلّا نذير﴾.قرأ بإثبات الألف في الوصل و الوقف.

قال تعالى:﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [44] .

انفرد الأمام نافع في رواية قالون عنه بقراءة قوله تعالى من سورة الأعراف ""إن أنا إلّا نذير"، وكذلك في سورة الشّعراء قوله تعـالى:"إن أنا إلّا نذير"، وفي سورة الأحقاف قوله تعـالى: "وما أنا إلّا نذير"بإثبات الألف في الوصل والوقف[45].

يقول الدّاني:"وهذه قراءتي على فارس بن أحمد في روايه أبي نشيط عنه، وكذلك أخبرني طاهر بن غلبون، عن أبيه، عن صالح بن إدريس، عن علي بن سعيد، عن الأشعث، عن أبي نشيط، عن قالون، عن نافع، ولم يروه عن قالون غير أبي نشيط"[46].

وحجّة قراءة نافع في رواية قالون عنه ":"أنّه أتى بالكلمة على أصلها،وما وجب في الأصل لها،لأنّ الألف في (أنا) كالتّاء في (أنت)..."[47].وقيل أيضا في حجّتها :"أنّه لمّا تمكّن له مدّ الألف للهمزة كره أن يحذف الألف، أويحذف مدّتها، فأثبتها في الموضع الّذي يصحب الألف فيه المدّ، وحذفها في الموضع الّذي لا تصحب الألف فيه المدّ، نحو:"أنا ومن اتّبعني "-يوسف:108- والألف زائـدة عند البصريّين، والاسم المضـمر عنـدهم الهـمزة والـنون وزيدت الألف للتّقويّة "[48].

وقد اختلف علماء النّحو حول أصل الضمير(أنا)، هل هو (أن) أو (أنا) كلّها[49]. فذهب الأشموني إلى أنّ هذا الضمير "فيه خمس لغات ...فأصحهنّ إثبات ألفه وقفا وحذفها وصلا، والثانيّة إثباتها وصلا ووقفا، وهي لغة تميم"[50].

إذن فإثبات الألف وقفا ووصلا لهجة تميميّة، والّذي تتميّز به هاته اللّهجة أنّها تميل إلى السّرعة في الكلام، فنسب إليها حذف بعض الأصوات، ولكن إذا أمعنّا النّظر في هاته الرّواية الّتي تثبت الألف في (أنا) نجدها وردت في قراءة بعدها همزة، والمشهور عن لهجة تميم أنّها تحقّق الهمزة، فقد يكون إثبات الألف هنا من أجل تحقيق الهمزة [51].

والـجدير بالذّكر أنّ النّحّاس قد طعن في القراءة، فهو يرى أنّ إثبات الألف شاذّ في الشعر، يقول في ذلك:"والأولى حذفها في الإدراج و إثباتها لغة شاذّة خارجة عن القياس،لأنّ الألف حين جيئ بها لبيان الفتحة وأنت إذا أدرجت لم تثبت فلا معنى للألف"[52].

والرّاجح أنّ إثبات الألف وصلا ووقفا لهجة ثابتة في العربية، لا يمكن إنكارها ،لأنّ القراءة لا تحمل على المقاييس النّحويّة، والنّحّاس نفسه يذهب إلى هذا حيث يقول:"إنّ كتاب الله عزّوجلّ لا يحمل على المقاييس، وإنّما يحمل بما يؤدّيه الجماعة "[53].بل يوثّق قراءة نافع ويؤكّدها بقوله :"وإنّما تؤخذ القراءة كما قلنا أو كما قال نافع بن أبي نعيم : ما قرأت حرفا حتّى يجتمع عليه رجلان من الأئمّة أو أكثر"[54].

الحرف الخامس: ﴿ لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ﴾.قرأ بتشديد الياء من غير همز.

قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [55] .

وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ

كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [56].

انفرد الإمام نافع في رواية قالون عنه بقراءة كلمة (النّبيّ) بتشديد الياء من غير همز في هذين الموضعين خاصّة في الوصل دون الوقف [57] .

فقالون في هذا الباب ليس له في هذين الحرفين إلّا الإبدال، أي :إبدال الهمزة ياءًمع الإدغام، وذلك حالة الوصل، أمّا حال الوقف فيرجعان إلى أصلهما همزتين محقّقتين [58].

قال الدّاني: "وترك قالون الهمز في قوله (النّبي إن أراد) و (بيوت النّبي إلّا أن) في الموضعين في الوصل خاصّة على أصله في الهمزتين المكسورتين "[59].وإنّما عمل قالون بالبدل في هذين الموضعين في الوصل لأنّ قاعدته إذا اجتمع همزتان مكسورتان من كلمتين ظان يسهّل الأولى ويمدّ ويقصر، فالبدل على هذا أخف من التسهيل، فعدل إلى البدل عن التّسهيل [60].

الحرف السّادس: -﴿ عَادًا **الأُولَى** ﴾. قرأ بهمزة ساكنة بعد ضمّة اللّام النقول إليها حركة الهمزة.

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾ [61] .

انفرد الإمام نافع في رواية قالون بقراءة (عَادًا الأُولَى) بهمزة ساكنة بعد ضمّة اللّام المنقول إليها حركة الهمزة، وقرأ الإمامان نافع وأبو عمرو بضمّ اللّام بحركة الهمزة و إدغام النون فيها، وقرأ باقي السّبعة بكسرالتنوين ويسكّنون اللّام ويحقّقون الهمزة بعدها [62].

وعلى رواية قالون يجوز في الإبتداء بهذه الكلمة بثلاثة أوجه وهي:الأوّل :بإثبات همزة الوصل وضمّ اللّام وهمزة ساكنة على الواو،هكذا:(أُلْوْلَى).الثاني:بضمّ اللّام وحذف همزة الوصل وهمزة الواو، هكذا:(وُلُولَى).والثالث: بإثبات همزة الوصل وإسكان اللّام وتحقيق همزة فاء الفعل بعدها،هكذا:(أَلْأُولَى).[63]

فوجه رواية قالون أنّه لمّا كانت قبل الواو من (اللُّولى) ضمّة همزت الواو لمجاورة الضمّة، كموسى من قول الشّاعر[64]:

لَحُبَّ المُؤْقَدَانِ إِلَيَّ مُؤْسَى[65]

ووجه قراءة نافع وأبو عمرو أنّ أصله (عادًا الأولى)، بتنوين عـاد، وبالهمزة في الأولىّ فخفّفت الهمزة بـأن نقلت حركتها إلى اللّام السّاكنة الّتي قبلها، وحذفت الهمزة فبقي:(عادًا لُولَى) ، ثمّ أدغم التنوين في اللّام، فبقي (عادًا اللّولى)، والـتنوين نـون ساكنة، وإدغام النّون في اللّام إنّما يكون بأن تقلب النّون فبقي:(عادًا لُولَى) ، ثمّ أدغم التنوين في اللّام، فبقي (عادًا اللّولى)، والتنوين نون ساكنة، وإدغام النّون في اللّام أنّما يكون بأن تقلب النّون لاما، ثمّ تدغم اللّام في اللّام.[66]

ووجه قراءة باقي السبعة أنّ الهمزة مجراة على أصلها من التّحقيق لم تخفّف، فسكّنت لام التعريف لذلك، وكان التنوين قبلها ساكنا، فكسر التنوين لالـتقاء السّـاكنين فبـقي (عادًا الأولى) وهو الأصل[67].

الخاتمة:

بعد الوقوف على جميع الحروف الّتي انفرد بها الإمام قالون في روايته عن الإمام نافع، رواية ودراية، توصّلت الدّراسة إلى النّتائج التّالية:

1- إنّ تعدّد القراءات القرآنيّة واختلافها لا ينشأ عنه تضادّ وتضارب بينها، بل هو خلاف تنوّع، وكلّها من لدن حكيم حميد.
2- أجازت رواية قالون عن نافع لقوله تعالى:﴿ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌلِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف:188- إثبات الألف في الضمير المنفصل (أنا) وصلا و وقفا.
3- لقد أسّست رواية قالون عن نافع لبعض القواعد، مثل قراءته لقوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ﴾، بإسكان العين وتشديد الدّال نجم عنها تأسيس قاعدة التّخلص من إلتقاء السّاكنين وذلك بالإختلاس .

4- لم تسلم رواية قالون –هي أيضا- من طعن النّحاة واللّغويّين، فوصفوها أحيانا بالخطأ، وأحينا أخرى بالقبح، بالرّغم من أنّه روى قراءته عن الإمام نافع، وهو أحد القرّاء السبعة الّين أثبت العلماء بالدّليل القاطع تواتر قراءته عن الصّحابة عن رسول الله على رسولنا أفضل الصّلاة و أزكى التّسليم.

5- تعتبر رواية قالون عن نافع كغيرها من القراءات والرّوايات غنيّة بالظّواهر اللّغوية، الصوتيّة منها والصّرفيّة والنّحوية، لدا يجب على الباحثين والدّارسين أن يهتمّوا بهاته الرّواية، وأن تأخذ حضّها من البحث شأنها في ذلك شأن رواية ورش عن نافع.

الهوامش :

[1] ينظر:غاية النّهاية –لابن الجزري-لنان –دار الكتب العلمية-ط1-1427هـ،2006م-ص:542ج:1 .

[2] ينظر:غاية النّهاية-لابن الجزري- ص:542ج:1 ،وتاريخ الإسلام-للذهبي-تح:عمر عبد السّلام تدمري-لنان-دار الكتاب العربي-ط1-1411هـ،1990م-ص:351ج:15.

[3] غاية النّهاية-لابن الجزري- ص:542ج:1.

[4] ينظر:معرفة القرّاء الكبار-للذهبي-تح:طيّار قولاج-استانبول-تركيا-دط-1416هـ،1995م-ص:326ج:1

[5] ينظر :السّابق- ص:542ج:1.

[6] هوعيسى بن وردان أبو الحرث المدني الحذّاء إمام مقرئ حاذق عرض على أبي جعفر وشيبة ثمّعلى نافع. توفي سنة 160هـ.ينظر:غاية النّهاية –لابن الجزري- ص:543ج:1.

[7] ينظر :معرفة القرّاء الكبار-للذهبي- ص:326ج:1 ،وتاريخ الإسلام-للذهبي- ص:352ج:15.

[8] هو محمّد بن هارون أبو نشيط إمام مقرئ ولد سنة نيّف وثمانين ومائة قرأ على الإمام قالون و الإمام روح بن عبادة.ينظر :سيّر أعلام النبلاء-للذهبي- ص:108ج:12 .

[9] الإمام أبو الحسن من كبار المجوّدين الأعلام ،قرأ على قالون وهشام بن عمّار ،و خلف.توفّي سنة خمسين ومائتين.ينظر: القرّاء الكبار-للذهبي- ص:437ج:1.

[10] الإمام أبو جعفر الطبريّ الحافظ المقري ،احد الأعلام ،ولد سنة سبعين و مائة ،وتوفّي سنة ثمان و أربعين و مائتين ،أخذ القراءة عرضا و سماعا عن ورش و قالون .ينظر:معرفة القرّاء الكبار-للذهبي- ص:377ج:1.

[11] بن علي بن دازيل الحافظ ،أبو إسحاق الهمذاني ، روى القراءة سماعا عن قالون ،توفي سنة إحدى وثمانين و مائتين .ينظر :غاية النّهاية-لابن الجزري- ص:17ج:1.

[12] ينظر :السبعة في القراءات –لابن مجاهد-تح:شوقي ضيف-مصر-دار المعارف-دط-دت-ص:63.

[13] ينظر :غاية النّهاية –لابن الجزري- ص:542ج:1

[14] ينظر :نفسه و الصّفحة.

[15] ينظر:القاموس المحيط -للفيروز آبادي-تح:محمّد نعيم العرقسوسي-لنان-مؤسسة الرسالة-ط8-1426هـ،2005م-مادّة(فرد)-ص:443ج:1.

[16]المفردات-للرّاغب الأصفهاني-تح:محمّد سيّد كيلاني-لبنان-دار المعرفة-دط-دت-مادة(فرد)-ص:629.

[17]معجم المصطلحات في علمي التجويد و القراءات-لإبراهيم بن سعيد الدوسري-السعودية-مطبوعات جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة-دط-1425هـ،2004م-ص :39،وانفرادات القرّاء السبعة-دراسة لغوية-لخليل رشيد أحمد-لبنان-دار ابن حزم-ط1-1434هـ،2013م-ص:10.

[18]معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية و ما يتعلّق به-لعبد العلي المسئول-مصر-دار السّلام-ط1-1428هـ،2007م-ص:100.

[19]ينظر :طبيعة الاختلاف بين القراءات العشرة و بيان ما انفرد بقراءته كل منهم-لكوليبالي سيكو-رسالة ماجستير-جمهورية ساحل العاج-1423هـ-ص:154 ، و انفرادات القرّاء السبعة –دراسة لغوية-لخليل رشيد أحمد-ص:51.

[20]ينظر :طبيعة الاختلاف بين القراءات القرآنية العشرة-لكوليبالي سيكو-ص:254، وانفرادات القرّاء السبعة –دراسة لغوية-لخليل رشيد أحمد-ص:51.

[21]ينظر : التّهذيب لما تفرّد به كل واحد من القرّاء السبعة-للدّاني-تح:حاتم صالح الضّامن-سوريا-دار نينوى-ط1-1426هـ،2005م-ص:36

[22]سورة آل عمران الآية -15-.

[23]سوة الزّخرف الآية-19-.

[24]ينظر :التّهذيب -للدّاني -ص:36 ، و السبعة –لابن مجاهد-ص:585.

[25]التيسير-للدّاني- اعتنى به:أوتوبرتزل-مصر-مكتبة الثقافة الدينيّة-ط1-1426هـ،2005م-ص:196.

[26]شرح النّظم الجامع لقراءة الإمام نافع-لعبد الفتّاح القاضي-مصر-دار السّلام-ط1-1428هـ،2007م-ص:45.

[27]ينظر :الهمز بين القرّاء و النّحاة -لأكرم علي حمدان-مقال بمجلة البحوث و الدّراسات القرآنية-العدد:8-السنة الرّابعة-ص:176.

[28]الكشف-لمكّي القيسيّ-تح:عبد الرّحيم الطّرهوني-دارالحديث-دط-1428هـ،2007م-ص:153،ج:1. .

[29]سورة آل عمران الآية -75-.

[30]ينظر :التهذيب لما تفرّد به كل واحد من القرّاء السبعة-للدّاني-ص:36 ،والثمر الجنيّ في بيان أصول رواية قالون عن نافع المدنيّ-لعبد الحكيم أبو زيّان-ليبيا-دار ومكتبة بن حمّودة-ط1-2004م-ص:102

[31]ينظر:الوافي في شرح الشّاطبية-لعبد الفتّاح القاضي-مصر-دار السّلام-ط9-1434هـ،2013م-ص:56.

[32]الكشف-لمكّي القيسيّ- ص:392ج:1.

[33] نفسه و الصفحة.

[34] ينظر:الكشف-لمكي القيسي-ص:392-ج1.

[35] نفسه والصفحة.

[36]سورة النّساء الآية-154-.

[37]ينظر :التهذيب لما تفرّد به كل واحد من القرّاء السبعة-للدّاني-ص:37 ، والسبعة-لابن مجاهد-ص:240 ، و التيسير-للدّاني-ص:98.

[38]الكشف-لمكّي القيسيّ- ص:440ج:1.وينظر :الموضّح في وجوه القراءات وعللها-لابن أبي مريم-تح:عمر حمدان الكبيسي-ددن-ط1-1414هـ،1993م- ص:1268ج:3.

[39]إعراب القراءات السبع و عللها-لابن خالويه-تح:عبد الرّحمان بن سليمان العثيمين-مصر-مكتبة الخانجي-ط11413هـ،1992ه-ص:139ج:1.وينظر:الحجّة في القراءات السبع-لابن خالويه-تح:عبد العال سالم مكرم-لبنان-دار الشروق-ط3-1399هـ،1979م-ص:65.

[40]إعراب القرآن-للنّحاس-تح:زهيرغازي -العراق-مطبعة العاني-دط-1397هـ،1977م- ص:467ج:1.

[41]ينظ:شرح الهداية-للمهدويّ-تح:حازمسعيد حيدر-السعوديّة-مكتبة الرّشد-دط-1415هـ-ص:450.

[42]ينظر:إعراب القراءات الشّواذ- للعكبري-تح:محمّد عزّوز-عالم الكتاب-ط1-1996م- ص:662ج:1

[43]إتحاف فضلاء البشربالقراءات الأربعة عشر-لأحمد بن محمّد البنّا-تح:شعبان محمّدإسماعيل-لبنان-عالم الكتب-ط1-1407هـ،1987م-ص:247-248.

[44]سورة الأعراف-الآية-188-.

[45]ينظر:التهذيب-للدّاني-ص:73 ، وغيث النّفع في القراءات السبع-للسفاقسي-تح:أحمد محمود عبد السميع الحفيان-لبنان-دار الكتب العلمية-ط1-1425هـ،2004م-ص:351.

[46]التّهذيب-للدّاني-ص :38.

[47]الحجّة في القراءات السبع-لابن خالويه-ص :54.

[48]الكشف-لمكّي القيسيّ- ص:306ج:1 .وينظر:معاني القراءات-لأبي منصور الأزهري-تح:عيد مصطفى درويش وعوض بن حمد القوزي-ددن-ط1-1412هـ،1991م-ص:83.

[49]ينظر :شرح كافية ابن الحاجب-للرضيّ الأسترآباذي-تح:أحمد السيّد أحمد-مصر-المكتبة التوفيقيّة-دط-دت- ص:9ج:2 ،وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية-للسيوطي-لبنان-دار المعرفة-دط-دت- ص:60ج:1.

[50]شرح الأشموني على ألفية ابن مالك-للأشموني-تح:محمّد محي الدّين عبد الحميد-مصر-مطبعةمصطفى البابي الحلبي-ط2-1365هـ،1946م-ص:90ج:1.

[51]ينظر :اللّهجات العربية في القراءات القرآنية –لعبده الرّاجحي- مصر-دار المعارف-دط-1969م-ص:161.

[52]ينظر :إعراب القرآن-للنّحاس- ص:184ج:1.

[53]نفسه- ص:366ج:3.

[54]إعراب القرآن-للنّحاس- ص:366ج:3.

[55]سورة الأحزاب-الآية-50-.

[56]سورة الأحزاب-الآية-53-.

[57]ينظر :التهذيب-للدّاني-ص:38 ،و البدور الزّاهرة في القراءات العشر المتواترة-للنّشار-تح:علي محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود-لبنان-عالم الكتب-ط1-1421هـ،2000م- ص:202ج:2.

[58]ينظر :الجنى الدّاني-لعبد الحكيم أحمد بوزيان-ص:127.

[59]معجم القراءات-لعبد اللّطيف الخطيب-مصر-دار سعد الدّين-ط1-1422هـ،2002م- ص:300ج:7.

[60]نفسه و الصّفحة.

[61]سورة النّجم-الآية-50-.

[62]ينظر :السبعة-لابن مجاهد-ص:615، والتيسير-للدّاني-ص:204.

[63]ينظر :التيسير-للدّاني-ص:205.

[64]هذا صدر بيت لجرير و عجزه :وَجَعْدَة إِذَا أَضَاءَهُمَا الوُقُودُ.

[65]ينظر :معاني القرآن-للفرّاء-لبنان-عالم الكتب-ط3-1403هـ،1983م- ص:102ج:3، والحجّة للقرّاء السبعة-لأبي علي الفارسي-تح:بدر الدين قهوجي و بشير جويجاني-سوريا-دار المأمون للتّراث-ط1-1411هـ،1991م- ص:207ج:7.

[66]ينظر:حجّة القراءات-لابن زنجلة-تح :سعيد الأفغاني-لبنان-مؤسسة الرّسالة-ط5-1418هـ،1997م-ص:361،وإعراب القرآن-للنّحاس-ص:276ج:3 .

[67]ينظر : حجّة القراءات-لابن زنجلة-تح :سعيد الأفغاني-لبنان-مؤسسة الرّسالة-ط5-1418هـ،1997م-ص:361،وإعراب القرآن-للنّحاس- ص:276ج:3 .